

الأساليب البيانية للتعبير عن الموعدة في كلام أمير المؤمنين "ع" في نهج البلاغة

أ.د. ابتسام عبد الكريم المدني

الباحثة حنان مقصد عبد

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

لقد استعمل الإمام علي (ع) أسلوب الموعدة لكونه داعياً لرسالة إلهية، وبرع فيه براعة متميزة، وكان لمواعظه أبلغ التأثير في نفوس من يسمعونها، فهو مؤدب مميّز تمثل بموعظته الحسنة أهم شروط الاقتناع الواعظ^(١). والإمام (ع) طبق الموعدة بكل معانيها في نفسه أولاً وفي نصوصه التربوية والأخلاقية والدينية بشكل خاص، فاعتمد (ع) في موعظته على قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢)، فكانت نصوصه التربوية في الموعدة دليلاً على أنه (ع) خير قدوة، إذ لم ينظر للموعظة كأنها فلسفة تنظيرية، بل طبقها على أكمل وجه في حياته وفي رسالته الدينية والسياسية والاجتماعية، والتي لم نجد في وعظه ما يميز بين تلك المفاهيم كأن يتميز لديه برنامج ديني وآخر سياسي وآخر اجتماعي، بل كانت برنامج حياة متكاملة تدمج دمجاً غير منفك بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ودعا أن يكون الإنسان لنفسه واعظاً، كما دعا إلى الاتعاظ بقصص الأولين من الأمم والاعتبار بها، وكذلك جعل الموعدة من أمور الحياة نفسها لكي يعصم الإنسان نفسه قدر الإمكان من الخطأ والزلل.

أولاً: أسلوب التشبيه عند الإمام علي (ع) للتعبير عن الموعدة:

قال (ع): ((عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَ الْمُتَّبِلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا فَإِنَّمَا مَتَلُّكُمْ وَ مَتَلَّهَا كَسَفَرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَ أَمْوًا عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ وَ كَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى أَلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا))^(٣) فالإمام (ع) يوصي بترك الدنيا وإن كانت محبوبة، لأنها هي تاركة للإنسان، وإن رغب بها، وإن الإنسان مسافر فيها، يؤمها لغايات ثم

يرحل،^(٤) فالإمام يعظ الناس بالزهد في هذه الدنيا بعبارات نافذة مؤثرة، إلى جانب تصويره لتفاهة هذه الدنيا فيوصي العباد بالرفض لها، وحقاً انها لفاجعة ان يسعى الإنسان بكيانه كله نحو معشوق والمعشوق يهرب منه بكل ما اوتي من قوة، فلا ينفذ هذا المعشوق ولا هو اهل لهذا العشق^(٥).

ورد التشبيه في قوله (ع): (فَأَيْنَمَا مَتَلُّكُمْ وَ مَتَلَّهَا كَسَفَرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ) التشبيه تمثيلي لان وجه الشبه جاء من متعدد، فالمشبه حال الناس في الدنيا كلهم يسرون بتجاه غاية وهي نهاية الدنيا، والمشبه به جمع من المسافرين يحثون الخطى للوصول الى الغاية التي من اجلها وسافروا، وجه الشبه الوصول الى الغاية. وهذا ما المعنى اوحى به صاحب الشرح حيث قال: ((كأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تزل، ما أقرب ذلك واسرعه ، وتقدير الكلام ها هنا: كأنهم في حال كونهم غير قاطعين له قاطعون له، وكأنهم في حال كونهم غير بالغين له بالغون له، لأنه لما قرب زمان إحدى الحالتين من زمان الاخرى شبهوا وهم في حال الاولى بهم أنفسهم على الحال الثانية))^(٦) قال الحسيني: ((في كلامه هذا تشبيه شيئين بشيئين ، فشبه حالنا مع الدنيا كحال السفر مع الطريق))^(٧)، وهذا النوع من التشبيه يكون فيه الكلام معقوداً على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه^(٨).

قال (ع): ((فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَقُرَاصَةَ الْجَلَمِ وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْضُوهَا دَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفِضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ))^(٩)، قال الشارح: ((والتشبيهات رائعة غاية في الدقة، فالقرظ (على وزن مرض) بمعنى ورق الأشجار الذي يستفاد منه لدبغ الجلود حتى يشدها ويجعلها أكثر فائدة، وبالطبع فإن الحثالة التي تطرح بعد الاستفادة تكون قذرة ومتعفنة ومدعاة للنفرة، وكذلك حين تقص أصواف الحيوانات تطرح بعض القطعات الصغيرة منه على الأرض دون أن يكون لها أدنى فائدة. فالتشبيه الأول استبطن النفرة والثاني التفاهة وعدم القيمة والاعتبار، والإمام (ع) يوصي بأن تكون الدنيا أهون من هذا في الأعين، الدنيا التي أدى عشق أموالها إلى ظهور القوارين،

وعشق مناصبها إلى ظهور الفراعنة والطواغيت الظلمة، وأن حبّها رأس كل خطيئة))^(١١) ، ومصداق لما قاله في ذم الدنيا والاتعاض منها حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما (مرّ بجنبه متعففة ملقاة على الطريق فأوماً إليها قائلاً : أترون هذه هينة على أهلها ، فو الله الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها)) ثم واصل حديثه عن الدنيا قائلاً : الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له وشهواتها يطلب من لا فهم له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له))^(١١).

وقال (ع): ((أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَافَقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ. لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجَعَتُهَا. غَرَارَةٌ صَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَالَةٌ عَوَالَةٌ. لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: «كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا»))^(١٢)، قال الشارح (خضرة، أي ناضرة' وهذه اللفظة من الالفاظ النبوية' قال النبي صلى الله عليه واله وسلم (ان الدنيا حلوة خضرة' وان الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون)^(١٣) وحفت بالشهوات' كأن الشهوات مستديرة حولها كما يحف اليهودج بالثياب وحفوا حوله يحفون حفا: طافوا به' قال تعالى:(وترى الملائكة حافين من حول العرش)^(١٤) قوله:(وتحبيت بالعاجلة) أي تحبيت الى الناس بكونها لذة عاجلة والنفوس مغرمة مولعة بحب العاجل' فحذف الجار والمجرور القائم مقام المفعول' بدائم...والحبرة السرور. وحائلة متغيرة ونافذة: فانية وبائدة. منقضية واکالة: قتالة وغوالة: مهلكة' والقول: ما غال اهلك)^(١٥) قال الحسيني: ((وهذا التشبيه من التشبيهات المركبة ، فشبّه الله الدنيا في سرعة انقضائها ، وانقراض نعيمها وزواله بعد اقباله وحسنه ، بحال نبات الأرض عند نزول المطر عليه، واختلاطه بها فالتف بجنبه وتكاتف ، وأخضر وأورق ، ثم صار بعد ذلك هشيماً محطوماً مكسراً، تفرقه الريح في كل جانب حتى لا يبقى له أثر ، كأن لم يكن))^(١٦) فالحسيني عد التشبيه للإمام (ع) ولكنه في حقيقته تشبيه

قرآني تمثل به الامام (ع). وهذا التشبيه يدل على زوال الدنيا وحقارتها وعدم بقاءها زاهرة دائمة، فشبهه (ع) انقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات وهو إخبار عن الماضي و دلالاته على المستقبل وانما ضرب هذا المثل للمتكبرين بنفوسهم وأموالهم بالنبات الذي ينمو نتيجة هطول ماء المطر ، ولكنه يعود سريعاً الى هيئته الأولى بمجرد انقطاع الماء عنه لأنه ليس له فائدة أو منفعة ترجى منه ، وبين إن هذا حال كل ما يكون في الدنيا عندما يكون المراد منه ليس وجه الله تعالى (١٧) .

وقال (ع): ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَّهْمُ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوْجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، اللَّهُ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ؟)) (١٨) قال الشارح: (بنثت لكم المواعظ، أي: فرقته ونثرتها. والأوصياء: الذين يأتونهم الأنبياء على الأسرار الالهية ،وقد يمكن ألا يكونوا خلفاء بمعنى الأمرة والولاية ، فإن مرتبتهم أعلى مراتب الخلفاء) (١٩) ويكمل الشارح القول في حدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا... أي حدوتكم كما يحدوا الراعي بالعيس ولكنكم لم تتجمعوا لصوت راعيكم وهل تتأملون اماماً بعدي قادراً على ان يحملكم المنهاج الشرعي، ويسلك بكم طريق الحق! (٢٠) (تشير هذه العبارات إلى أنّ الإمام (ع) كان يستغل كلّ فرصة بغية هداية أهل الكوفة الذين عرفوا بالضعف والتشتت وقد مارس شتى الأعمال الثقافية بهذا الشأن حتى أفاض عليهم مختلف مواعظ الأنبياء وإرشادات الأوصياء إلا أنّ المطر الرحمة الإلهية لم يجد له من سبيل في أرض قلوبهم السبخة، ثم تخلى عن الرفق والمرونة ليجابهم بشدة علمهم يعودون إلى أنفسهم ويعيشون الوحدة؛ ومرة أخرى لم تجد هذه المسامير من سبيل في تلك الأحجار الصلدة، ليتضح بجلاء أن لا نقص ولا عيب في الزعامة والقيادة، بل العيب كلّ في تلك الفئة الجاهلة الفاقدة للحمية)) (٢١) ونوع التشبيه الوارد في هذا النص الوعظي تشبيه تمثيلي ويذكر الحسيني أن التشبيه الوارد في النص ويُسبّه ((حالهم بحال من يحدو الإبل ويزجرها في السيرة وهي لا تجتمع عليه ، بل تذهب يميناً وشمالاً عن الطريق)) (٢٢) والمقصود بالتمثيل هو التشبيه المركب التقابلي ، ((وهو إتيان

حكم واحد من جزأين لثبوته في جزء آخر ، لمعنى مشترك بينهما)) (٢٣) أي يمكن الحصول على المعنى المراد بالإشارة إليه في دلالة لفظ آخر يؤدي مفهومه الى المعنى المقصود بالإدراك^(٢٤). وانطلاق من هذا التحليل يمكننا القياس عليه لتحليل قوله (ع): (وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا) فهو تشبيه تمثيلي ايضاً، أي كما يؤدب المؤدب بالسوط من ادبهم فهو أدبهم ولكنهم لم يستقيموا. وهذا المعنى يستقيم مع التشبيه الاول، فتكون الدلالة: اني عاملتكم بالزجر والحدة كما يعامل المؤدب اطفالاً ليستقيموا، أنا عاملتكم كذلك، وعاملتكم كما يعامل الحادي الذي يحدوا بالعيس فيلاطفها ويوقع كلامه على وقعها فتتجمع حوله، ولكنه لم يستقيموا ولم يتجمعوا. وهذا التأويل أقرب الى سلوك الامام (ع) الذي لا يتجانس مع المعنى الحقيقي لاستعمال السوط.

ثانياً: أسلوب (الاستعارة) عند الامام علي (ع) للتعبير عن الموعظة:

قال (ع) في وصيته لابن الاشر: ((...وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ. وَأَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَنْزِعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ))^(٢٥) ورد في الشرح أن المقصود بنصر الله باليد: الجهاد بالسيف، و نصره بالقلب الاعتقاد الحق ونصره باللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢٦). ووثيقة ذلك قوله تعالى: (ولينصرن الله من ينصره)^(٢٧) وورد أن الهدف الأول الذي يشير اليه الإمام (ع) هي الأمور الاقتصادية والعسكرية، لأن بداية الوصية قد ورد فيها ذكر الخراج والجهاد والاستصلاح والعمارة إذ قال: (ع): ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بَنِ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وُلِّاهُ مِصْرَ: جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا)) وفي هذا المورد تمتد دائرة المطالب الى جميع الأمور المالية والادارية المتعلقة بالحكومة الإسلامية، وكذلك مسألة القوة العسكرية والدفاعية وقوى الأمن في البلد الإسلامي ويؤكد على حفظ استعدادهم لدفع هجمات الأعداء، لأنه ما لم يتم ترتيب أمور هؤلاء فإن الأمن لا يتحقق في فضاء المجتمع ولا يعيش الناس راحة

البال في معيشتهم وأعمالهم، وكذلك إصلاح الأمور الاجتماعية والثقافية، ومنها إيجاد الباعث على أعمال الخير وإزالة منابع الفساد الأخلاقي وتثبيت الأمن في مجال الكسب والعمل وتأمين حقوق الأفراد ونظم ما يتصل بالأمور القضائية، رغم أن البعض تصور أن الجملة-استصلاح أهلها- تختص بإصلاح الأمور المادية للناس، ولكن من البعيد يكون نظر الإمام (ع) مقتصراً على هذا المورد، بل أنه ناظر إلى إصلاح جميع الأمور المادية والمعنوية، وهذا ما تدل عليه بعض من مفردات الامام (ع) في بعض الموارد^(٢٨) فقله (ع) (أن يكسر نفسه عند الشهوات) أمر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى، وحذر من النفس وما تأمر به^(٢٩). وتمثلت الاستعارة بقوله (ع): (يُنْصِرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ) فهي استعارة مكنية حيث شبه القلب واليد واللسان بالسيف الذي ينصر به الناصر، فكنى عن السيف بلازمة النصر، وكذلك وردت الاستعارة في قوله (ع): (أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ) إذ شبه النفس بالعصا فكنى عن العصا بهيئة من هيئاتها، وكذلك قوله (ع): (وَيَنْزَعُهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ) إذ شبه النفس بالمليس فكنى عنه بصفته، ثم شبه الشهوات بالفرس الجموح الذي يجري بحمق وليس لفارسه سيطرة على الزمام، وكنى عنه بصفته. فتكون القيمة التربوية المستقاة من هذه الاستعارة بوساطة صورة فنية تظهر الشهوات على شكل فرس جموح، ولكنه في الحقيقة ليست بفرس انما هو النفس الامارة بالسوء التي سبق وان شبهها بالثوب الذي يمكن ان ينزع. وقد لاحظ أحد الباحثين أن الاستعارة مستقاة من طبيعة البيئة العربية، وبهذا فقد البست الاستعارة النص ثوباً جديداً يولد معاني معنوية مختلفة منها وصف الشهوات بالجموح ولا يسيطر عليها الا بالتقوى وبالصبر.^(٣٠)

قال (ع): ((أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَأَدْنَتْ بِانْقِضَاءِ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَدْبَرَتْ حَذَاءً، فَهِيَ تَخْفِزُ بِالْفَنَاءِ سَكَّانَهَا وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَرَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ، فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطْوِلَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا

الأمد))^(٣١)، قال الشارح: ان التصرم هو الانقطاع والفناء، وأن الدنيا اعلمت اهلها بالانصراف، وتكررت لمعروف أهلها فأدبرت اديار غير عائد. وتزجر سكانها نحو الفناء تعجلهم، وتركت ما كان حلوا مرا،^(٣٢) والعبارة العلوية تصور حركة الإنسان نحو أجله ومصيره المحتوم، فكل ما حول الانسان دعوه لحث الخطي والسرعة إلى الزوال والفناء.^(٣٣) وقد استعار للدنيا الفناء مشبها اياها بالإنسان الذي يفنى عمره، ووجه المشابهة كونهما كليهما قاطعين مدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة الانسان كما يصحب الحادي الإبل بالسوق والحداء، وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لآلة السوق والحداء ونزلها منزلة الحقيقة، ووجه المشابهة كون الموت هو السبب في انتقال الانسان الى دار الآخرة كما أن الصوت والسوط هما آلتا الحداء والسوق وهما اللذان يحصل بهما انتقال الابل من موضع الى موضع،^(٣٤) فحال الدنيا كحال الحادي بالإبل من مكان الى آخر.^(٣٥)

قال (ع): ((أذلَّ الأممِ داراً وأجدبم قراراً، لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها، فالأحوال مضطربة، والايدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء ازل، واطباق جهل، من بنات موؤودة، واصنام معبودة، وارحام مقطوعة، وغارات مشنونة))^(٣٦) ورد ان المعنى يشير إلى عدم ألفة يَعْتَمِدُونَ عَلَى قوتها ومنعتها، لأن الأحوال مُضْطَرِبَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فالمحن والخطوب التي تصيب المجتمعات البشرية فتطمرها في وادي الجهل، كما يشير تاريخ الجاهلية إلى أنهم كانوا يمارسون الأعمال الهمجية، وقد أشار الإمام (ع) إلى أربعة منها؛ وأد بناتهم، وعبادة الأحجار.^(٣٧) وقد استعمل الامام (ع) الاستعارة في قوله: ((لا يأوون الى جناح)) أي ليس لهم ((ملجأ فيدعوهم ليحميهم في ظل جناحه))^(٣٨)

قال (ع): ((وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُزِدِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَرَهُ وَ طَاعَةَ هَادٍ أَمْرَهُ وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَ تَقَطَّعَ اسْبَابُهُ وَ اسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَ امْطَأَ الحوبة، فقد اقيم على الطريق وهدى نهج السبيل))^(٣٩) فالإمام (ع) ينصح في قبول كرامة الله ونصحه

ووعظه وتذكيره وتحذيره من نزول القارعة ليصنع ما يجب اعداده للموضع الذي سوف يتحول اليه.^(٤٠) وقد خاطب الإمام (ع) الجميع داعياً إليهم إلى سلوك سبيل العلماء الربانيين، مستعرضاً مراحل السير والسلوك إلى الله، لافتاً الانتباه إلى قصر عمر الدنيا وفناء الحياة وحلول الموت ، وهل من عامل لليقظة أنجع من ذكر الموت وحلول الأجل.^(٤١) وقد استعمل الامام الاستعارة فشبّه الهدى بالبيت ذي الابواب فكفى عنه بلازمه، ثم صور وشك انغلاق الأبواب للحث على الاسراع في اللجوء اليه.

ثالثاً: أسلوب الكناية عند الامام علي (ع) للتعبير عن الموعظة:

استعمل الامام اسلوب الكناية للتعبير عن الموعظة في مواضع مختلفة منها:

قوله (ع): ((وتمسك بحبل القرآن وانتصحه، واحل حلاله، وحرّم حرامه وصدق بما سلف من الحق و اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها، فإن بعضها يشبه بعضاً و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مفارق. و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق، و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت، و لا تتمن الموت إلا بشرط وثيق. و اخذ كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكرهه لعامة المسلمين، و اخذ كل عمل يعمل به في السر و ينسحق منه في العلانية ، و اخذ كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره و اعتذر منه . و لا تجعل عرضك غرضاً لئبال القوم ، و لا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك كذباً))^(٤٢) قال الشارح: (اشتمل هذا الفصل على وصايا جليلة الموقع: منها قوله: (وتمسك بحبل القرآن) جاء في الخبر المرفوع لما ذكر الثقلين فقال (أحدهما كتاب الله، حبل ممدود من السماء الى الأرض طرف بيد الله وطرف بأيديكم)^(٤٣) ومنها (انتصحه) أي عده ناصحاً لك فيما أمرك به ونهاك عنه .ومنها قوله (وأحل حلاله وحرّم حرامه) أي أحكم بين الناس في الحلال والحرام بما نص عليه القرآن . ومنها قوله: (وصدق بما سلف من الحق) أي صدق بما تضمنه القرآن الكريم من أيام الله ومثلاته في الأمم السالفة لما عصوا وكذبوا .ومنها قوله (وأعتبر بما مضى من أيام الدنيا لما بقي منها يناسب قوله و آخرها لاحق بأولها)^(٤٤) يوصي الامام (ع) بوصايا جليلة عدة منها التمسك بكتاب الله واعتبار هذا الكتاب ناصحاً لمن يتبعه

فيطيع اوامره ويجتنب نواهيه فنتبع الحلال وتبتعد عن الحرام ووجوب التصديق بما جاء في القرآن من ايام الله وذكر الامم السابقة .^(٤٥) وردت الكناية في قوله: ((ولا تتمنى الموت الا بشرط وثيق)) وهو هنا يكتفي عن الاستعداد للموت .

الخاتمة:

في ميدان علم البيان اظهرت اساليب الامام (ع) الفنية البيانية للتعبير عن تلك المعارف بأنها أساليب تربوية تمكّن المتلقي من الفهم العميق، اذ تجعله يستعمل الحواس كلها في عملية التلقي فبالتشبيه تظهر له الصورة واضحة مرئية يكاد ان يدركها بجواسه الخمس، ثم تأتي الاستعارة لتمثل امامه الخصائص المطلوب فهمها بصورة مفخمة الى حد ملفت للنظر ومبهر بالوقت ذاته. وهذا من خصائص الاستعارة. وتتجلى الكناية بعد أن يستوعب المتلقي المعنى القريب ثم يراه ليس المقصود، فيعمق النظر حتى يصل الى المعنى البعيد وهو المطلوب .

الهوامش:

(١)ظ: المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة : ٢٥٧.

(٢)سورة النحل : ١٢٥ .

(٣)شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ٥٣/٧

(٤)شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد/٧٥٥

(٥)نفحات الولاية : ٢١٩/٤ .

(٦) شرح نهج البلاغة: ٥٥ /٧

(٧)الديباج الوضي : ٨٠١/٢

(٨)ظ: أسرار البلاغة : ١٩٢ .

(٩)شرح نهج البلاغة :ابن ابي الحديد/٢٣٤

(١٠)نفحات الولاية : ١٨٣/٢-١٨٤ .

- (١١) يذكر المصدر
- (١٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ٧/١٤٧_١٤٨
- (١٣) اخرج مسلم كتاب الذكر والدعاء/باب اكثر اهل الجنة الفقراء (٢٧٤٢) والترمذي كتاب الفتن باب: ماخبر النبي صل الله عليه وسلم اصحابه بما هو كائن أي يوم القيامة (٢١٩١)
- (١٤) سورة الزمر: الاية ٧٥
- (١٥) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ٧/١٤٩
- (١٦) الديباج الوضي : ٢/٩٠٨.
- (١٧) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن : ٦/٣٥١، الكشاف : ١/٢١٢، مفاتيح الغيب : ٢١/١٣٠.
- (١٨) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ١٠/٢٧٩
- (١٩) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ١٠/٢٧٩
- (٢٠) ظ: شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ١٠/٢٧٩
- (٢١) نفحات الولاية: ٧/٤٧_٤٨
- (٢٢) الديباج الوضي : ٤/١٥٤٦.
- (٢٣) التعريفات : ٥٣.
- (٢٤) ظ : العمدة في نقد الشعر : ١/٢٣٢، دلائل الإعجاز : ٧١، المثل السائر : ٢/١٨٧.
- (٢٥) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ١٧/٢٢
- (٢٦) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ١٧/٢٢
- (٢٧) سورة الحج : الاية ٤٠
- (٢٨) نفحات الولاية: ١٠/٢٩٠.
- (٢٩) شرح نهج البلاغة : البحراني ٥/٢٥٦.
- (٣٠) ظ: مباحث دلالية في شرح نهج البلاغة : ١٤٦.
- (٣١) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ٣/٢١١
- (٣٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد ٣/٢١١

- (٣٣) نفحات الولاية: ٣٧٤/٢.
- (٣٤) شرح نهج البلاغة : البحراني ، ٤١٥/٢ .
- (٣٥) ظ: شرح نهج البلاغة :البحراني ١٤٩/٢
- (٣٦) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، ١١٣/١٣
- (٣٧) نفحات الولاية : ٣٥٥/٧ .
- (٣٨) الديباج الوضي : ٢٠٣٧/٤ .
- (٣٩) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، ٤٣ /١١
- (٤٠) شرح نهج البلاغة :ابن ابي الحديد/١١-٥٥-٥٦
- (٤١) نفحات الولاية : ١٦٠-١٥٩/٨ .
- (٤٢) شرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ، ٢٠٩/١٨
- (٤٣) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب (٣٧٨٨)، وأحمد في (مسنده)(١٠٧٤٧) ، والطبراني في (الصغير).
- (٤٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/١٨١١
- (٤٥) ظ:شرح نهج البلاغة :ابن ابي الحديد/١٨١١

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
١. الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني (ت٧٣٩) ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٣ ، دار الجيل - بيروت.
٢. بهج الصياغة في شرح نهج البلاغة : محمد تقي التستري:ط١ الناشر: طهران
٣. الخطاب في نهج البلاغة بنيته وانماطه ومستوياته: حسين العمري ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ٢٠١٠.
٤. شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العلمية - بيروت .
٥. المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة : أميرة برغل ط١،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.
٦. نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١ مدرسة الامام علي ابن ابي طالب (ع) -دار جواد الائمة (ع).

